

الوافي في الوفيات

أحمد بن محمود الإمام الأديب البليغ المنشء كمال الدين أبو العباس ابن أبي الفتح الشيباني الدمشقي ابن العطار . ولد سنة ست وعشرين وأجاز له ابن روزه وسمع من ابن المقير وأبي نصر ابن الشيرازي والسخاوي وخرّجت له مشيخة وسمعها الشيخ شمس الدين وحدث ب صحيح البخاري بالكرك بالإجازة سنة سبعمائة . وكان ديّناً وقوراً بديع الكتابة والترسل جيد النظم والنثر توفى سنة اثنتين وسبعمائة . ولم يزل رئيساً في ديوان الإنشاء بدمشق مشاراً إليه بالتعظيم إلى أن مات C تعالى . كتب إلى محيي الدين عبد الله ابن عبد الطاهر . :

سقى وحيّاً الله طيفاً أتى ... فقامت إجلالاً وقبّلته .

لشدة الشوق الذي بيننا ... قد زارني حقاً وقد زرته .

وافى من الجناب العالي المحيوي آنس الله المملوك بقربه وحفظ عليه منزلته من قلبه وهداه إلى الطريق التي كان ظفر فيها بمطلب البلاغة من كتبه ولا شغله بسواه حتى لا يسمع غير كلامه ولا يرى غير شخصه ولا ينطق إلا بذكره لغلبة حبه . وما زاره في المنام ولا أتاه في خفيةٍ واكتنام ولا شاهده بدعوى الإحلام بل فإن المنى أحلام المستيقظ وهو به طول المدى حالم والناس نيام . ولا ينكر الإخلال بالمكاتبة على نائم القلم مرفوع عن النائم . غير أن المملوك أماته الشوق فانتبه بعد ما رآه بعينه فهو لا يتأول ولا سيما في أمر ما اشتبه وما كانت زيارته له إلا منافسة له بظنّه أن المملوك علقته به أسباب الكرى ومناقشة لطلبه زور الخيال حقيقة لما سرى . لينفي الوسن عن نظره ثم ينصرف على أثره . ولما سجدت له الأجنان ظنّ بها سنةً فزارها منبهاً وما كان إلاّ ساهياً بمزاره عن خدمته فلا ينكر على جفنه السجود لمّا سها . ولكم علاّةٍ للشوق أطفأ حرّها بمزاره . وأعلق به أشراك الأجنان خيفةً من نفاذه وعقله بحائل جفنيه خشية أن تنزع يد اليقظة حبيبه من بين جنبه . وضمها على خياله ضمّ المحب للعناق يمينه على شماله . ولكن ما فاز بالعناق إلا يد أو يدان وعناق المملوك للطيف من فرط الوجد بأربعة أيدي من الأجنان . وإن لم تؤخذ هذه الدعوى منه بالتسليم وقيل ما زاره بل استزاره فكر له في كلّ وادٍ يهيم . فبلى وحقّه لقد قصد مزارا إن الكريم إذا لم يستزر زارا . وتأنى لقد وافاه ويسراه على حشاه ويمناه متشبثة بأذيال دجاه . ومحبه فوجده على أبحر ما يكون من الوجد الذي عهد . إلا أن ضيف الطيف ما أهتدى إلاّ بنار أشواقه وما سرى بل سار في ضياءٍ من بارق دمه وما يوري قدحاً من سنايك براقه . وتسوّر أسوار الجفون وخاض السيول من العيون .

فكتب ابن عبد الظاهر الجواب إليه عن ذلك : .
في النوم واليقظة لي راتب ... عليك في الحالين قرّرتَه .
تفضّل المولى إذا زاره ... طيف خيالي منه أن زرتَه